خطاب الرئيس أنور السادات

فى الذكرى الثانية والعشرين لثورة 23 يوليه

الأهرام: 24-7-74

بسم الله

أيها الأخوة والأخوات..

تمر الأيام والسنون وتبقى تلك الليلة الخالدة التى خلت منذ 22 عاما تبقى ماثلة فى وجدان جيلنا لا تنسى ذكراها ولا ينطفئ نورها. ففى تلك الليلة المشهودة كانت الأحداث التى لم تستغرق سوى ساعات تعتصر فى ثنايا هذه الساعات القليلة آلام قرون طويلة مضت وتحدد آمال أجيال كثيرة مقبلة قبل أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر كان الصراع قد حسم نهائيا لمصلحة الشعب وكانت تلك الليلة قد أعطت شعبنا عطاء سخيا ما زالت آثاره تتوالى وتتجدد حتى يومنا هذا، واذا كان البيان الاول الذى حملته أمواج الأثير حين انبلج صباح ذلك اليوم ليحمل بالنسبة لى وبالنسبة لاخوة آمنوا بربهم وبوطنهم فقاموا فى تلك الليلة أقول اذا كان هذا البيان يحمل بالنسبة لى ذكرى خاصة فان كل من كان فى سن الوعى على أرضنا فى ذلك الصباح البعيد منذ 22 عاما لا شك أنه ما زال يذكر تلك الشحنة الكهربائية التى سرت فى أوصال الأمة مع كلمات ذلك البيان الأول فأضاءت كل قلب مخلص وهزت إلى الأعماق كل ضمير وطنى.

ولقد تجلى هذا على الفور حين أدرك الشعب مغزى ذلك البيان الموجز فانطلقت جماهيره تؤيد ما حدث فى موجة من الحماس الجارف والاجماع الذى لا نظير له والذى أسقط جبروت الطغيان والفساد السابق فى لحظات.

بهذا الاجماع الشعبى أكتسبت الحركة صفتها كثورة وليس كمجرد انقلاب، وبهذا الاجماع الشعبى الفذ اكتسبت الثورة منذ الساعات الاولى شرعيتها الكاملة المستمدة من ارادة الشعب.

ولم يكن ما تم فى تلك الليلة عفويا ولا مرتدا ولم يكن مغامرة دفع اليها الحماس، بالعكس لقد كان ذلك نتيجة جهد وتأمل وعمل طويل محفوف بالمخاطر ونتيجة لاستقراء مستمر لفيض هذا الشعب بآلامه وآماله ونتيجة صبر طويل قاس حين كان الغطيان الشعبى فى كل مكان ينم عن نفاذ الصبر كذلك لم تنبت أحداث تلك الليلة من فراغ ولا انفردت بانضاجها الطلائع الثورية التى كان عليها أن تتحمل المسئولية التاريخية فى تلك الليلة الخالدة إنما جاءت تلك الليلة والحركة الوطنية فى احدى قمم نضاله والنظام القديم فى قمة تفسخه وانحلاله، فقد كانت الوزارات تعيش بالأيام بل وبالساعات وكان مجرد تمارض السفير البريطانى يزلزل أركان الحكم كانت الرشوة السافرة تلعب دورها فى تشكيل الوزارات وإسقاطها كان محصول البلاد الرئيسى ونتاج عرق جماهيرها وهو القطن محل مضاربات شهيرة بين أصحاب السلطة على أهم مصدر لقوت الشعب ووصل الكفاح الوطنى ضد الاحتلال الإنجليزي الى طريق مسدود بحريق القاهرة واسدال ستار من الظلام على طموح الجماهير. وكانت الصيحات المطالبة بالقليل من العدل واليسير من التحول

الاجتماعى قد ضاعت هباء ازاء تحكم النصف فى المائة الـذين كـانوا يستأثرون بكل شئ وباتت مصر كلها على شفى أحـداث لـو انطلقـت لاتخذت طريقا دمويا شاملا كما حدث أمام أعيننا فى بلاد كثيرة ولكـن ثورة 23 يوليو حملت معها الخلاص دون إراقة قطرة من دماء وجنبـت البلاد خلال عملية التحول أهوالا عرفتها وتعرفها بلاد غيرنا.

كانت بهذا أيضا منسجمة مع طبيعة هذا الشعب المتحضر العريق الذى لا يستمع الى نداءات الصراع الدموى ولا يحل مشاكله على أعواد المشانق ولا بد أن نذكر فى هذا اليوم بكل مشاعر الإجلال والوفاء الزعيم الخالد جمال عبد الناصر مفجر ثورة 23 يوليو.

لقد خضنا معه قبل قيام الثـورة امتحـان التنظـيم والترتيـب والمخاطرة والحساب وامتحان الإحساس بالضمير العام للأمة واسـتلهام آمالها الحقيقية فى وجه جموح السلطة البائدة وجبروتها ودعاياتها التى لم تفلح فى أن تضلل الشعب عن عفنها الداخلى وخضنا معه بعد قيام الثورة المعارك التى شنت علينا من اليوم الأول سواء بقصد احتوائها أو تدميرها أو تمزيقها من الداخل. واستطعنا معه عبر التحديات المحليـة والدوليـة والتى تحالفت فيها ضدنا أحيان أعتى القوى وأخبث الوسائل استطعنا أن نحقق انجازات غيرت وجه الحياة فى مصر وغيرت دور مصـر فـى العالم.

إن تحرير الإرادة الوطنية وإقامة أول سلطة مصرية منذ قرون وإجلاء الاحتلال بعد ثلاثة أرباع القرن ومعارك تأميم قناة السويس وبناء السد العالى وإقامة قاعدة الصناعة الوطنية الكبرى وإعادة توزيع الملكية

الزراعية وإقامة القطاع العام وتحقيق مكاسب العمال وتعميم حقوق التنظيم والتأمين والعلاج والمكانة التى صارت لمصر على المستوى العربى والدولى، أن هذه كلها ليست سوى علامات أو عناوين تندرج تحتها مئات التفاصيل والتجارب والمواقف عشناها كلها مع عبد الناصر وزاملناه خلالها وهو فى وقت العواصف الهوجاء وشاهدنا معا تلك المشاهد كلها.

أيها الأخوة والأخوات...

اننى هنا لا أروى قصة نضالنا الوطنى كاملة منذ 23 يوليو سنة 52 بما كان لا بد أن يصاحبها من هزائم وانتصارات ومن سلبيات وإيجابيات ولا شك أننا فى سبيل هذه الأهداف العليا التى أخذناها على أنفسنا قد تحملنا الكثير ودفعنا الكثير ولكننا حين ننظر الى المحصلة الأخيرة سوف نجد أن التجربة المصرية كانت من أبرز التجارب فى العالم الثالث منذ هبت رياح التحرر والتغيير على هذا العالم عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية.

كذلك فان هذه التجربة كانت رائدة فى الكثير من المجالات والتجربة الرائدة التى تتقدم غيرها هى التى تواجه عادة بأعنف المقاومة وهى التى تتعرض عادة لمزالق ارتياد الآفاق الجديدة وانه لمن حقنا أن نعتز بأن الكثير من القيم التى صار لها مكان فى عالم اليوم كنا نحن من أبرز المساهمين فى إضفائها.

اننا اذا تحدثنا اليوم عن حق كل دولة فى التحرير الوطنى وفى اختيار أسلوب تدريباتها الاجتماعية أو عن تجارب الاصلاح الزراعى

والتنمية الصناعية أو عن تحرير الارادة العربية وسيطرة الاقطار العربية على ثرواتها واخراج آخر جندى أجنبى من أراضيها أو عن رفض الدخول فى مناطق النفوذ والانصياع لأوامر الدول الكبرى أو عن ايجاد كتلة عدم الانحياز والكتلة الافريقية والمجموعة الآسيوية والافريقية وما أثرت به فى حياة العالم بل وحتى عن الانفراج الدولى وابتعاد شبح الحرب العالمية بعد أن لم تعد الدول الصغرى غنائم يتصارع الأقوياء عليها.

إننا اذا تحدثنا عن أى حقيقة من هذه الحقائق فسوف نجد لثورة 23 يوليو دورا طليعيا فيها، لم تكن مصر ولم تكن الأمة العربية ولم تكن العلاقات الدولية فى تلك الليلة الخالدة منذ 22 سنة كما هى اليوم.. ولقد ساهم فى هذا التغيير ثوار ورواد كثيرون وشعوب وقيادات كثيرة وكذلك كانت أعلامنا موجودة ماثلة متعرضة للعواصف والانواء فى كل ساحة من هذه الساحات.

أيها الأخوة والأخوات...

إن هذه الصفحات من ثورة 23 يوليو صارت الآن ملكا للعالم وملكا للتاريخ ولقد صدرت وسوف تصدر مئات الكتب وآلاف الدراسات فى مختلف أنحاء العالم معلقة على التجربة المصرية من شتى وجهات النظر .

ولكننى أحب أن أذكر أولئك الذين ينظرون الآن الى الوراء ويحللون ما مضى بأن الأسلوب العلمى الموضوعى لا يكون بتحليل لاحداث خارج الظروف التى جرت فيها.

www.anwarsadat.org

إن البعض يأخذون على ثـــورة 23 يوليـــو ومعاركهـــا ضـــد الاستعمار ومقاوماتها لمناطق النفوذ ويحسبون ما تحملناه فى هذا السبيل ولكنهم ينسون أن هذه المعارك فرضها علينا الاستعمار ولم نفرضها نحن عليه لاننا ببساطة كنا نطارد وجوده أو نفوذه من بلادنا ولم نكن نهـــاجم بلاده وينسون أنه بغير هذه المعارك ما كان ليحسم تاريخ الاستعمار فـــى العالم بعد قرون ولو لم نتصد له نحن وغيرنا من الشعوب التى ظلت تلك القرون مغلوبة على أمرها لما صار لهذه الشعوب الوزن الذى لها اليـــوم ولظل المندوب السامى لهذه الدولة أو تلك كما كـــان هـــو الـــذى يقـــيم الحكومات ويسقطها ويتخذ القرارات ويلغيها ويخضـــع مصـــالح هـــذه الشعوب لمصالح بلاده.

والبعض يأخذون على الثورة نضالها فـــى الســـاحة العربيـــة وينسون العائد القومى الضخم من تدمير أسطورة الجزائر الفرنسية ومن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن وأطراف الجزيرة العربية وينسون الاحباط الذى لحق بمحاولات تقسيم العالم العربى بـــين شـــرق وغـــرب وينسون الفشل الذريع الذى منيت به سياسات دولية تقليدية قامت دائمـــا على أساس عزل مصر .

والبعض يأخذون على الثورة أختيارهـــا لتجربـــة اشـــتراكية مصرية ونضالها من أجل التحول الاجتماعى وتركيزهـــا علـــى اقتحـــام تجربة التصنيع ولو دفعنا ثمن الاخطار التى تلازم كل تجربة ومن هنـــا أيضا ينسون أن هذا التحول نحو مزيد من العدالة الاجتماعية هو قـــانون العالم كله وان تعددت الأشكال والصور وينسون أن عدد الســـكان فـــى مصر قد زاد الى الضعف خلال سنوات الثورة وحدها.

انه بغير هذا الاستثمار القومى فى هذا الاتجاه لتدهورت حياة الشعب ولانفجرت الصراعات الدموية والتمزقات التى نراها فى بلاد أخرى كثيرة فأخرت فى سلوك هذا الطريق وتحاول اليوم أن تلحق به.

اننا لا نطلب لتجربتنا الثورية العصمة من النقد بل أن حركة التصحيح التى قمت بها فى 15 مايو كانت ممارسة عملية وتطبيقية لهذا النقد ولكننا فى الوقت نفسه لا يجوز أن نهدر نضالنا القومى بدوافع من الثأر أو الحقد ولا يجوز لنا ونحن نسجل الثورة أن نتصور ان تحولا بهذه الضخامة يمكن أن يقع خاليا من الاخطاء والسلبيات ولا يجوز أن نقبل محاكمة من قلة معزولة عن واقعنا الاجتماعى وعن الظروف القاسية لشعبنا المقيد منذ قرون بأغلال الفقر والتخلف لا يجوز أن نقبل محاكمة من قلة سمحت لها ظروفها الاجتماعية أن تعيش بعقلها فى أوربا وأمريكا وبلاد سبقت الى التقدم والثراء وتظن أن مجرد استعارة بعض مظاهر الحياة هناك هو الحل لمشاكل شعبنا العميقة أن هؤلاء فى واد ومجموع شعبنا أزاء مشاكله الحقيقية فى واد آخر وأننا لعازمون على اننا لا نفقد أبدا تلك البوصلة أو ذلك المؤشر الذى يحدد لنا طريقنا دائما وهو خدمة مصالح أوسع الجماهير.

أيها الأخوة والأخوات..

لقد كان قدرى كما تعلمون أن أحمل المسئولية فى ظروف ربما كانت من أحرج الظروف التى يمكن أن يمر بها بلد من البلاد وقد كنت أدرك منذ اللحظات الأولى لتحملى المسئولية بعد أن فاجأنا القدر باستشهاد جمال عبد الناصر نعم باستشهاده وهو يقود آخر معاركه من

أجل توحيد كلمة الأمة العربية واخراجها من حرب أهليـــة ناشـــبة كمـــا تذكرون جميعا كنت أدرك منذ تلك اللحظات الأولى لتحملـــى المســـئولية جسامة ما ينتظرنى وما سوف يكون على أن أواجهـــه ففـــى الســـنوات الأخيرة من حياة عبد الناصر كنا نعمل معا وكانت هناك أمور كثيـــرة لا يعرفها سوانا. وهكذا كنت أعرف تماما ومنذ البداية كل مخاطر الطريق وقد كانت ثقتى بالله وبأصالة هذا الشعب وبســـلامة فطرتـــه وبرســـوخ المبادئ الأساسية لتجربة 23 يوليو هى ما اعتمدت عليه فى مواجهة تلك المرحلة التى كانت كما قلت من أحرج ما يمكن ان يمر بأى بلد وبـــأى قيادة من امتحان.

كانت مرحلة بالغة الحرج والخطورة فعلا ومن نواح متعـــددة فمن جهة كانت هناك ثمار نضال وتجربة عمرها ثمانيـــة عشـــر عامـــا أرسينا خلالها الاساس الصلب الذى يمكن أن ننطلق منه الـــى مراحـــل جديدة ومع ذلك فقد كانت هذه المكاسب كلها عرضة للضياع التام لو أن النكسة استمرت ووصلت إلى نهايتها وبالتـــالى بيفـــتح البـــاب ليـــنقض المتربصون على هذه المكاسب لتدميرها من الأساس.

ومن جهة ثانية كان هناك احتلال اسرائيلى يعلن كل يوم عـــن عزمه على البقاء تدعمه فى ذلك إحدى الدول الكبرى وهـــى الولايـــات المتحدة الأمريكية ويقترن بهذا طبعا الأعباء المالية الباهظة المترتبة على ذلك وضغطها على حاجات المواطنين والضغط النفسى الرهيب الكظـــيم إزاء استمرار هذا الوضع الجارح لكل نفس.

ومن جهة ثالثة كانت هناك تحولات دولية كبرى واتجـــاه نحـــو الوفـــاء الدولى رأى فى حالة الركود العربى الشامل ما يبرر له تجاوز مشـــكلتنا وعدم اعتبارها أحد الأخطار التى تهدد السلام العالمى وبالتالى فلا بـــأس من أن تمتد حالة اللا سلم واللا حرب ثم تمتد طالما أنها لا تزعج أحدا.

ومن جهة رابعة كانت هناك قوى فى الداخل ظنت أن وظائفها الرسمية تعطيها أكثر من حقها الشرعى فبدأت تتصرف بمنطق الوصاية على هذه الأمة وكان من مصلحة استمرارها فى هذه المراكز أن تجمـــد التجربة المصرية وأن تتجاهل كل الدروس التى تعلمناها قيادة وشعبا من نكسة 67 بهدف واحد هو محاولة تلمس كل ســـبيل لادانـــة وصـــاياتها وفرض إرادتها.

ومن جهة خامسة كانت هناك الى جانب الآلام الكظيمة آمـــال عظيمة يريد شعبنا أن يمضى اليها ويرى من حقه بعد نضـــال الثمانيـــة عشر عاما أن يقطف ثمارها ولكن كانت هناك كل العقبات السابقة تبـــدو وكأنها تسد أمامنا الافق الرحيب وتفرض علينا حيرة وبلبلـــة تجعلنـــا لا نعرف طريقنا بالضبط ولا ما هو المحط.

وأخيرا من جهة سادسة كانت هناك الساحة العربيـــة المفككـــة الحافلة بالشكوك المتبادلة كما كانت هناك فى هذه الساحة أيضـــا ســـوق رائجة للمزايدات والمناقصات التى لم تكن تحاول أن تنتهج أسلوبا تحليليا علميا لفهم الواقع أو لا كتشاف الطريق الذى يمكن أن يؤدى الى تغييـــر هذا الواقع .

هذه العوامل الستة التى أجملتها والتى يمكن أن أشـــرح كـــل ظرف منها شرحا مستفيضا أقول أن هذه العوامل كلها تشابكت وتداخلت بحيث جعلت الظرف الذى توليت المسئولية فيه كما قلت لكم من أخطـــر الظروف وأحرجها وأكثرها تعقيدا كانت مجرد حركة واحدة خاطئـــة أو خطوة واحدة متسرعة أو إذعان للحظة واحدة لضغط داخلى أو خارجى كان أى شئ من هذا كفيلا بأن يضيع معه كل شئ.

ومرة أخرى أقول كان اعتقادى فى مواجهة هذه الغابة الكثيفـــة من الظروف المعقدة المتشابكة وفى الخروج من هذا التيه الشاسع كـــان اعتمادى على ثقتى بالله سبحانه وتعـــالى وبعدالـــة قضـــيتنا وبالوطنيـــة المصرية المستعدة دائما للتحمل والعطاء وكذلك كانت أمامى دائما تلـــك الينابيع الأولى التى نبعت منها ثورة 23 يوليو والتى خضنا من أجلها كل تلك المعارك وواجهنا ما فرضته علينا من تحديات وببساطة كانت تلـــك المنطلقات الاولى للثورة التى جمعتنا حول رايتها هى :

تحرير الارادة الوطنية المصرية وجعل القرارات العليا كلهـــا مصرية مائة فى المائة وهى أيضا التمسك بتجربة اجتماعية مصرية لـــم نقصر خلالها فى الاستفادة من شتى التجارب ولكـــن بشـــرط أن تكـــون صالحة لتربة هذا الوطن وهى أيضا رفضنا المطلق أن نجمد هذه التجربة الحية في أى قوالب جامدة سواء كانت من صنعنا أو من صنع غيرنـــا. ومن تأمل هذه الينابيع الاساسية سوف يجد أى باحث معنـــى القـــرارات الاساسية الكبرى التى اتخذتها خلال تلك الفترة وسوف يجد المنطق الذى يربط بينها جميعا. كان هناك قرار تنحية مراكز القوى كمدخل لا بد منه لتحرير الارادة الشعبية التى تعـــزز بحريتهـــا حريـــة الارادة الوطنيـــة

وكمدخل لا بد منه لمرحلة من إعادة تقييم الماضى وتطويره والاستفادة من تجاربه خصوصا بعد أن برهنت لى الظروف والتصرفات على أن تأجيل حسم هذه القضية سوف يجعل وضع هذه الوصاية الخفية على الشعب يتفاقم ويضع قيود مصطنعة على التجربة المصرية وكان منطقيا بعد ذلك القرار الثانى بالبدء وبسرعة فى وضع الدستور الدائم واقامة دولة المؤسسات وترسيخ مبدأ سيادة القانون وتصفية الاجراءات الاستثنائية التى كان يقينى أن ضروراتها قد زالت وأن تعزيز أساس العدل الاجتماعى بالأساس الثانى وهو الحرية السياسية هو أعظم وأفعل فى ضمان مكتسبات الثورة من أى اجراء استثنائى خصوصا بعد أن استقرت المبادئ الاساسية لهذه الثورة وتعمقت جذورها فى أضمن تربة وهى ضمير هذا الشعب. ولم نكن خلال هذا كله غافلين عن أن العدو على شاطىء القناة وعلى أراض عربية كثيرة وانه لا محالة آخر الأمر من القتال فلم يعطلنا هذا لحظة واحدة عن التمهيد للمعركة سواء باعداد المناخ الدولى لمناسب أو بترتيب الجبهة العربية قدر الطاقة أو بتعزيز قدرتنا القتالية بكل الوسائل الممكنة. ومع ذلك فمع هذا الادراك والعمل المستمر كان قرارى الثالث بانهاء خدمة الخبراء السوفيت بعد أن صار أبناؤنا وخصوصا وأن شبابنا المتعلم الجديد الذى هو نتاج حركة التعليم الواسعة التى نهضت بها الثورة أقول أصبح هذا الشباب قادرا على استيعاب أحدث الأسلحة وأكثرها تعقيدا وكما حدث بالنسبة لكل قرار من هذه القرارات المصيرية تعرض هذا القرار للتفسيرات والتأويلات خصوصا من الاتحاد السوفيتى ذاته وتعرض للحملات التى حاولت أن تصور القرار على أنه عدول نهائى عن المعركة وأنه صفقة مع أمريكا وكان العكس تماما هو الصحيح لقد أرادت اسرائيل ان تجعل المواجهة

بينها وبيننا دائما مواجهة بين روسيا وأمريكا حتى يتجمد الموقف ازاء قضية خطر المواجهة بين الدولتين الأعظم وأردنا نحن أن تكون المواجهة وطنية وقومية تماما نحمل نحن مسئوليتها ونملك بذلك حرية حركة لا نورط بها أحدا وهو ما أثبتته الاحداث كلها وبعد ذلك كما تعلمون ولعلكم تذكرون أننى خاطبتكم خلال تلك الظروف وفى مثل هذا اليوم قبل سنتين وقلت لكم وللعالم بالتحديد اننا نفضل أن يسيل الدم الزكى فى ميدان القتال على أن نظل أسرى حالة اللاسلم واللا حرب. وقلت أيضا ليس أمامنا سوى أن تنهض الوطنية المصرية والقومية العربية بمسئولياتها التاريخية وليعرف شعبنا وتعرف أمتنا أننا سوف نقاتل فى العراء اذا كان هذا هو ما سوف تفرضه الظروف علينا. وختمت كلمتى اليكم قائلا نحن لا نريد أن جبر أحدا على شئ ولا نريد ان نطلب لانفسنا شيئا ولكننا نتساءل أليس هو المصير العربى كله في الميزان.

أيها الأخوة والأخوات..

من هذا المنطلق كان القرار التاريخى بالعبور وببدء حرب أكتوبر المجيدة بالتنسيق التام مع زميلى الرئيس حافظ الاسد والجيش السورى الباسل والشعب السورى البطل الذى كان دائما وبحق قلب العروبة النابض.

ولعل المناسبة التى يمكن أن أروى فيها المزيد عن هذا القرار وعن المعركة كلها قد أصبحت قريبة ولكن ما يهمنى أن أسجله هنا هو أن قرار الحرب هو أخطر القرارات فى حياة أى أمة وفى حساب أى قياس ومع ذلك فاننا رغم الحرب النفسية واستعدادات العدو الضخمة ومخاطر

ردود الفعل الدولية لم نجفل من اتخاذ القرار حين صار لا بد مما لـــيس منه بد.

لقد صدر القرار عن ارادة وطنية وقومية خالصة وهو معنـــى أحرص دائما على تأكيده وتكراره أهم ما يجب أن نحرص عليه دائما فى الحاضر والمستقبل ولان تأكيد الارادة الوطنية كان المنطلـــق الاساســـى لحركتنا منذ بدأنا الإعداد لثورة 23 يوليو ولان معظم ما تعرضـــنا لـــه طول 22 سنه ومن تحديات كان مرجعه حرصنا على حرية هذه الارادة الوطنية لانها اذا رسخت فى ضمير قياداتنا وقواعدنا اليوم وغـــدا فهـــى الضمان الوحيد للمستقبل.

وفى تقديرى أن قرار حرب أكتوبر وما اثبته ضباطنا وجنودنا وشعبنا كله من قدرة وبسالة وثبات قد دعم أمام العالم كله هذا الحـــرص على حرية إرادتنا الوطنية كما لم يدعمها شئ من قبل.

ولقد خضنا المعركة كما تعرفون فاندفعت الامة العربية كلهـــا وراءنا بالدعم والتأييد المادى والمعنوى عدا أصوات قليلة حاقدة حاولـــت أن تتبرأ من المعركة منذ يومها الأول وأن تتنبأ بالكارثة واستخدمنا سلاح البترول العربى لاول مرة واندفعت لتأييدنا ومساعدتنا أيضا قوى دوليـــة صديقة كثيرة وتنبأ حلفاء اسرائيل وفى مقدمتهم الولايات المتحدة بهزيمتنا ورسموا ردود فعلهم الاولى على هذا الاساس حتى فوجئنـــوا بمعجـــزة العبور وتدمير خط بارليف وباستغاثة اسرائيل فلم تلبث أن أنقلبت تلـــك التقديرات وبالتالى اندفعت الولايات المتحدة بالذات فى اتجاهين الاول هو انقاذ اسرائيل من الهزيمة بدعمها عسكريا عبر جسر جوى لم يسبق لـــه

مثيل والثانى هو التحرك فى اتجاه محاولة الوصول الى حل بعد أن ثبت لهم بطلان أسطورة التفوق الاسرائيلى المطلق وبطلان قدرتها على الاستيلاء على ما تشاء من الاراضى العربية بغير رادع وبطلان سياستهم السابقة فى تجاهل الشعب الفلسطينى واعتبار مقاومته الباسلة أمرا عابرا سوف يذبل مع الوقت.

أيها الأخوة والأخوات..

منذ حرب أكتوبر أخذت الأحداث العالمية والسياسات المختلفة إزاء قضيتنا تتخذ مواقف وسبلا مختلفة وجديدة تماما منذ التوصل الى الاتفاق العسكرى للفصل بين القوات على الجبهتين السورية والمصرية سرنا نواجه مرحلة مختلفة تماما من حقنا أن نسجل مكاسبها التى هى مكاسب ما بذلناه من دم وأن نسجل أيضا مخاطرها ومحاذيرها فنحن نريد أن تكون تقديراتنا السياسية دائما متوازنة لا تضللها رياح الاغراق فى التفاؤل ولا تعطلها حملات اليأس والتشاؤم. منذ سكتت المدافع وتم اتفاق الفصل بين القوات وأعلامنا مرفوعة فى سيناء وأعلام سوريا مرفوعة فى القنطرة لم تسكت حركتنا السياسية ولم تتوقف حرب أكتوبر عن العطاء فى شتى المجالات.

لقد صدر قرار جديد من مجلس الامن ينص على التنفيذ الفورى لقرار 242 القاضى بالانسحاب الفورى من الاراضى المحتلة بعد أن كان هذا القرار قد دفن ومات تقريبا وقد تحركت القضية كما لم تتحرك منذ سنة 67 وأدرك العالم أنها لا يمكن أن تستسلم للرقاد مرة أخرى فأسرعت الدول المختلفة وخصوصا الولايات المتحدة تبدل فى

سياستها وتعيد تقييم نظرتها الى المنطقة العربية وبذلت فى ذلك نشـــاطا كبيرا تعرفونه جميعا.

واذا كنا قد رحبنا بهذا التغيير وهذا النشاط فاننا نرحب بمثلـــه اذا جاء من أى طرف آخر. ونحن نقول بوضوح اننا لا نـــؤثر ســـاحة العمل على التوصل إلى حل على أى دولة كبـــرى دون غيرهـــا. وقـــد ظهرهذا الفارق الحاسم بينما كان قبل أكتوبر وما حدث بعده فى مـــؤتمر القمة الذى انعقد في موسكو مؤخرا بين رئيسى دولتى الاتحاد الســـوفيتى والولايات المتحدة يكفى أن نقارن بين البيان الذى أصدره فـــى لقائهمـــا الأول وتحدثا فيه عن الاسترخاء العسكرى فى المنطقـــة وبـــين بيانهمـــا الاخيرعن ضرورة الاسراع فى التوصل الى الحل والاسراع بعقد مؤتمر جنيف وتسجيل المصالح المشروعة للشعب الفلسطينى. وقد أصبح الوجود الوطنى والحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى أمورا مسلما بها ساهم فـــى هذا للدرجة الاولى نضال الشعب الفلسطينى الباسل وساهمت فيه وسجلته ودعمته حرب أكتوبر التى كان الحصول على هذه الحقـــوق الفلســـطينية أحد أهدافها الاساسية.

وقد كان حصولنا لاول مرة على اعترافات دولية خارج العالم العربـــى بحق الشعب الفلسطينى وان منظمة التحرير الفلســـطينية هـــى الممثـــل الشرعى له هو ما حدث خلال رحلتى الى رومانيا وبلغاريا.

كان هذا نقطة تحول جديدة وهامة على الطريق. حتى اسرائيل ذاتها لم تتمكن من تجاهل هذه التحولات فنشبت فيها مناقشـــات داخليـــة حادة لاول مرة حول هذه القضية على مستوى السلطة وداخـــل مجلـــس

الوزاء الاسرائيلى ذاته على أن هذه النتائج وغيرها لا يجب أن تصـــرفنا عن المشاكل والمخاطر والمهمات الكبرى التى تنتظرنا والتى تحتاج منا الى حكمة وعزيمة معا لا تقلان عن الحكمة والعزيمة اللتين أخذنا بهمـــا فى قرار الحرب وفى ادارة القتال ذاته على السواء.

وفى هذا المجال فانه من واجبى أن أسجل أمام شعبنا وأمام الرأى العـــام العربى كله هذه النقاط:

أولا – أنه يؤسفنا حقا أن نسجل أن بعض مشاكلنا بعد أكتـــوبر تأتى من بعض الذين هم أصدقاء أو أخوة فان سوء التفاهم بيننـــا وبـــين الاتحاد السوفيتى أمر لا نحب له أن يستمر ونحن من جانبنا نحرص على ازالته وفى تقديرنا أنه سوف يأتى اليوم الذى ســـوف يـــدركون فيـــه أن بعض تفسيراتهم لسياساتنا ليست على صواب كما حدث أكثر من مرة من قبل.

كما أنه يؤسفنا أن أخوة لنا فى العروبة صارت مهمتهم الوحيدة التشويش علينا أو التشهير بسياستنا واتباع سياسة المن بما ساهموا به في المعركة الامر الذى لا يستقيم مع أى منطق خلقى أو قومى أو وحدوى.

ثانيا– أن علينا أن نرقب انعكاسات الخلاف أو الوفـــاق الـــدولى علـــى قضيتنا بدقة بالغة فالعلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايـــات المتحـــدة الأمريكية ومجموعة دول غرب أوروبا علاقات معقدة وتمـــر بمراحـــل حساسة ورغم أن هذه الأطراف لها قضاياها الخاصة بها من نزع سلاح وأمن أوربى وعلاقات تجارية واقتصادية الا أن المرحلة الراهنة حتى فى هذا المجال حافلة بالمتغيرات وهى وأن بـــدت بعيـــدة عنـــا الا أن لهـــا

انعكاساتها على المنطقة العربية كلها لاهميتها الاستراتيجية والاقتصادية وبالتالى على قضية الحرب والسلام فى منطقتنا بالذات وأقرب مثال على ذلك هو الأحداث الأخيرة المؤسفة فى قبرص ذات الموقع الحساس بالنسبة لامتنا ومنطقتنا ومن هنا يجب أن نكون منتبهين دائما الى هذه العلاقات وحريصين على أن نبعد انعكاساتها عن قضيتنا وأن نحرص على أن نكون يدا ثابتة فى توجيه دفة أمورنا خلال هذا الموج المتقلب .

وهناك أيضا سياسة الانفتاح التى قد يتصورها البعض اندفاعا غير محسوب سعيا وراء أكثر عدد من مصادر التموين من أجل مهمات التعمير والتنمية فى حين نراها نحن سياسة تحتاج الى حسابات دقيقة لا تخل بالتوازن الداخلى لتقدمنا ولا تخل بالتوازن الخارجى لاستقلالنا وسيطرتنا على مقدراتنا .

وها أنتم ترون ونحن نستعد لمرحلة التعمير الكبرى ترون أننا نستقبل القروض والاستثمارات من ايران ومن دول الغرب ومن الدول العربية ومن دول عدم الانحياز فى نفس الوقت الذى نعمل فيه على احياء الاتفاقات القديمة مع دول المعسكر الشرقى التى كانت ظروف النكسة تعطل الاستفادة منه.

وهناك أيضا محاولات اسرائيل التى لم تنقطع لاجهاض آثار حرب أكتوبر سواء بالتعطيل والتسويف أو بالمغامرات العسكرية ضد لبنان التى لا يمكن أن تترك الى غير ما حد أو باستخدام قوى الضغط الصهيونى داخل أمريكا التى ما زالت تمارس تأثيرها فى مجالات كثيرة.

ثم أن أمامنا قضية توحيد الصف العربى الى اقصى درجة ممكنة وخصوصا التنسيق بين الأطراف العربية المرشحة لحضور مباحثات جنيف فى مراحلها التى ستكون مضنية وان نناضل فى سبيل كسب حق الفلسطينيين فى الحضور كشعب له قضية وله الحق فى تقرير مصيره وان نزن كذلك احتمالات حضور لبنان أيضا فى المؤتمر حين تجد دول المواجهة ويجد لبنان مصلحة عربية عليا فى هذا الحضور.

إن من أهم الأسلحة اللازمة لنا لمواجهة المرحلة السياسية المقبلة التى ندرك مخاطرها ومحاذيرها أكثر مما يدركها غيرنا من هواة الكلام أن يكون الصف العربى موحدا قدر الطاقة وراء جبهة الحل ووراء احتمال القتال.

ولا شك أن أعقد مشكلة على هذا الطريق هى مشكلة العلاقة بين الأردن وبين الفلسطينيين وممثلتهم الشرعية منظمة التحرير. ونحن نعرف أن هذه المشكلة حساسة وشائكة واليمة لنا جميعا فى نفس الوقت ولكننا هنا فى مصر احساسا بمسئولية دورنا قد تعودنا أن نأخذ على عاتقنا دائما أن نتصدى لاعقد المشاكل اذا كان لا بد من مواجهتها بل وأقول أننا تعودنا ان نتلقى بصدورنا أول السهام. خصوصا الذين يفضلون لانفسهم أن يكونوا متفرجين أو الذين يريدون أن يقطفوا الثمار دون أن تلمس أصابعهم النار تلك مسئوليتنا ونحن نتحمل تبعاتها ولهذا فأننا فى الوقت الذى أكدنا فيه التزامنا المطلق بتأييد حق الشعب الفلسطينى فى التعبير عن ارادته من خلال منظمته الشرعية الوحيدة بل وأكدنا فيه هذا الالتزام عمليا بتجميع أكبر قدر من التأييد الدولى لهذه الحقيقة أكدنا أيضا بصراحة أن من خطوط سياستنا التى تمليها المصلحة

العربية العليا العمل على التنسيق بين دول وقوى المواجهة بما فيها الأردن لأنها بغير هذا التنسيق فأننا نخسر معركة المرحلة المقبلة قبل أن تبدأ ولانه لا بديل لهذا التنسيق سوى حرب أهلية عربية يهدأ بها بال اسرائيل وتستريح من عناء المواجهة.

وقد قطعنا فى المباحثات الاخيرة مع جلالة الملك حسين مرحلة نعتقد مخلصين اذ أنها أساسية وهامة لقد أسقطت حكومة الأردن كل تحفظاتها التى تمسكت بها فى كل المؤتمرات العربية والدولية على صفة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى للشعب الفلسطينى وقبلت حكومة الأردن منطقنا فى أن الضفة الغربية كانت وديعة لديها كما كانت غزة وديعة لدى مصر حتى يقرر شعبها ما يشاء وأعترفت للمنظمة بحق الحضور المستقل فى مؤتمر جنيف حيث يستطيع الفلسطينيون هناك أن يطرحوا قضيتهم من الزاوية التى يرونها وصار الطريق مفتوحا لكى تلتقى الأطراف الأربعة على خط المواجهة على قدم المساواة لبحث المجالات المتاحة فى التنسيق بينها وأحب أن أعلق على هذه المسائل بكلمات قليلة تضع بعض الأمور فى النصاب أننا لا ننوب عن الفلسطينيين ولا عن غيرهم فى تقرير شئونهم كما يحاول بعض نوى النوايا السيئة أن يصوروا الأمور فهم فى النهاية أى الفلسطينيون هم أصحاب الرأى فيما يقبلون ويرفضون وهم فى هذا يواجهون مسئوليتهم التاريخية كاملة ونحن أيضا لا نطلب الوصول الى مواقف متطابقة وبالتالى لا نتصور البدء من مواقف متطابقة وأننا نبذل جهدنا من أجل التقريب بين المواقف المتباعدة وأن نوجد أرضية يمكن للأطراف أن يتحدثوا منها كما شاء لهم من الحديث ونؤمن كما قلنا ان كل مبدأ فى هذا

www.anwarsadat.org

المجال يجب أن يبذل وانه لا بديل للتنسيق سوى التناقض وافلات إسرائيل من مواجهة جنيف المقبلة وتمكينها من اللعب على التناقضات العربية ونحن فى هذا نعتقد أن المصالح القومية، والمصلحة الفلسطينية العليا بالذات يجب أن تكون أعلى وأهم حتى من أقصى الذكريات والذين يظنون أن هذا الطريق أمام قضيتنا سهل مفتوح واهمون أنه طريق نشقه بأظافرنا ونناضل من أجله نضالا سياسيا عنيفا مصحوبا بكل الضغوط الممكنة ان اسرائيل ترفض حتى الآن رفضا قاطعا حضور الفلسطينيين وهى تستخدم فى هذا السبيل كل ما لديها من أساليب وامكانيات لانها تعرف بمجرد حضورهم اعتراف بهم بصفتها أحد أطراف جنيف. وليس هناك ما يساعدها على هذا أكثر من انعدام موقف عربى منسق أنها معركة قاسية قد لا يبدو لكم منها على السطح الا بعض جوانبها معركة علينا أن نخوضها وليست غنيمة سهلة معروضة علينا ثم أنه قبل كل شئ وبعد كل شئ لا يجوز مطلقا أن نغفل أو يغفل غيرنا عن الحقيقة الأساسية وهى أن المعركة مازالت قائمة وان الاحتلال الإسرائيلي ما زال يدنس أراضى عربية كثيرة وأنه لا بد لنا من أن نعلى من قدرتنا القتالية يوما بعد يوم لأن القتال مرة أخرى هو دائما الحل الذى لا مفر منه إذا لم يفتح الطريق أمام السلام واذا لم تعد كل الحقوق العربية الى أصحابها فى أجل مقبول نحن أذن حين نضع تصورنا الكامل للمرحلة الراهنة لا نغفل عن مخاطرها ولا نستهين باحتمالاتها ومن هنا كان تأكيدى على أهمية الاستمرار بالاستعداد للمعركة وعلى أهمية المحافظة على أكبر درجة من التضامن العربى وعلى ضرورة العمل من أجل الاحتفاظ بصداقتنا الدولية وبانتهاج سياسة تضيف الى هذه الصداقات وتقوى بالتالى موقفنا العام فى هذه المرحلة الحساسة التى نستقبلها

أيها الأخوة والأخوات..

اننى بعد هذا كله استقبل المرحلة المقبلة بنفس عامرة جـــدا أن الأوراق الرابحة فى ايدينا تتكاثر ولا تقل وأن ما برهن عليه شعبنا ومـــا برهنت عليه قواتنا المسلحة يمكن أن يتكرر البرهان عليه مرات ومرات. نحن لا نتحدث بلغتين بل بلغة واحدة ونحن لا نخفى شيئا اذ أنه ليس لدينا ما نخجل منه ولكننا نصارح الجميع بكل ما فى تصوراتنا أن العالم لـــم يسمح لنا بهزيمة اسرائيل هزيمة كاملة وهذا ما نقوله صـــراحة ونقـــول أيضا لن نحارب العالم كله ولكننا حققنا انتصارا قطعت به قضيتنا شوطا ليس له مثيل ونحن دعاة استقرار وسلام وتعمير وبناء لاننا نؤمن بـــأن المستقبل معنا ونحن فى نفس الوقت لا نزعم أننا ننوب عـــن المســـتقبل وعن الأجيال المقبلة أن جيلنا عليه مسئوليات وفـــى مقـــدمتها ان نســـلم الرسالة والراية للأجيال المقبلة من أرضية أقوى وأرحب. وعلى الأجيال المقبلة أن تنهض بمسئولياتها ونحن على استعداد دائم للحـــوار بصـــدر رحب مع كل صديق حقيقى أو صديق محتمل ومع كل طرف عربى لـــه اجتهاد آخر بشرط الجدية والأمانة ازاء المصالح الحقيقية العليا لهذه الأمة ولكننا فى نفس الوقت صرنا فى موقف يسمح لنا بأن نتجاهل المزايـــدات الكلامية وان نترفع عن المهاترات وان لا نخضع لمحاولات الاستفزاز أو الابتزاز. أننا لا نقبل من أى أحد وكما قلت لكم قبل سنتين أقول اليوم أن هذا الشعب الذى تحمل ما تحمل ما زال مستعدا لان يقاتل وحـــده فـــى العراء اذا اقتضى الامر ذلك.

أيها الاخوة والأخوات:

لقد جربنا الصمود العسكرى واجتزنا امتحانه الطويل جربنا الصمود الاقتصادى دون أن نشكو جربنا الصمود النفسى فى وجه حملات التشكيك. ونحن الان فى حاجة أكثر من أى وقت مضى الى ما يمكن أن أسميه بالصمود الفكرى فى حاجة الى أن نحتفظ برؤوسنا هادئة رغم الاستفزازات ولنثق فى حساباتنا رغم حملات التشويش وان نتمسك بمبادئنا عالية مهما هبت علينا العواصف. ان شعبنا قد يقتر فى طعامه وثيابه وقد يتحمل ضائقة الحياة حتى وان كثر المستفيدون من حوله ولكن شعبنا لن يفرط فى أرض ولا كرامة ولا فى استقلال إرادته ولا فى مسئولية رسالته لقد عرف شعبنا طوال حياة النضال وخبر ضروراته وقد أخرج شعبنا فى كل جيل أبطاله وقدم فى كل امتحان أعز شهداء فالمجد والخلود لهذا الشعب العظيم المؤمن وهذه الأمة العربية العريقة والمجد والخلود لأبطال يوم 23 يوليو 52 ولأبطال 6 أكتوبر 1973 أنهما أعظم يومين فى حياة هذا الشعب وهذه الأمة خلال قرون طويلة وأن نورهما سوف يظل مضيئا وهاديا عبر أجيال طويلة قادمة.

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله..

www.anwarsadat.org